الفتنة.. حقيقتها والموقف منها

- الفتنة كالنار سهل إيقادها صعب إطفاؤها.
- مفاهيم الفتنة اليوم تُفسّر على اعتبار ما يفوت من دنيا الناس لا على ما يفوت من دينهم. الإسلام يُفسّر الفتنة على نقصان الدين لا نقصان الدنيا.
- الفتنة مراتب... منها: ترك الحق إلى الباطل. ومنها: الانشغال بحق مفضول وترك حقٍ فاضل. الأولى فتنة الجهّال... والثانية فتنة العلماء..
- لكل شيء فتنة يحذر منها، حتى (الفتنة) نفسها، جهلك بمراتبها فتنة تجعلك تهرب من فتنة صغرى فتقع في كبرى ﴿أَئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ (التوبة: ٤٩).
- الفتن الخفيّة لا يراها أكثر الناس فيقعون فيها تساهلاً، وهي مقدمات للفتن الظاهرة الكبيرة، قال ﷺ: (تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ).
- ترك النبي الخُطبة ونزل من المنبر لحمل الحسن والحسين ثم قال: صَدَقَ اللهُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ (التغابن: ١٥)... معنًى دقيقٌ للفتنة لا يُرى إلا بعين نبي، انشغال النبي ﷺ بـ(حمل ابنيه) عن الأولى (وهو الخطبة) للحظات يسيرة لا تؤثر ومع ذلك سماه فتنة، فما مقدار فتنة من انشغل بفضول الإنترنت عما وجب عليه لأمته.
- لا يوجد شبهة إلا وقد خرجت من رحم شهوة، ثم تتخلّق مذهبًا متبوعًا.

obeikandl.com

- تنبت الشبهات على أرض الشهوات، يشتهون شيئًا ثم يفعلونه فإذا انتُقدوا شرّعوا الشهوة لتكون شبهة فيسلموا من النقد.
- البحث عن المتعة العاجلة سبب كل كفر وكل معصية، الشبهات تنبت على أرض الشهوات ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ (الزمر: ٨).
- الشهوات إذا دخلت على العقل قلبت الأدلة من براهين إلى شبهات.
- يجب مقاومة الشهوات قبل أن تتحول إلى شبهات ثم ثقافات يصعب الانفكاك عنها.
- تسقط الدول بالشهوات، وتسقط الأفكار بالشبهات، وإذا أرادت دولة البقاء فلا يتول أمرها حاكم غارق في شهوة، ولا عالم منغمس في شبهة.
- إذا ماتت الشهوة تبعتها الشبهة، لهذا فضلال الشباب أكثر من ضلال الشيوخ؛ لأن طمع الشيوخ وشهواتهم أضعف.
- الإنسان يبدأ بالتخلي عن بعض أفكاره وأهوائه عندما يشعر بدنو أجله، الأجل لا علاقة له بصحة الفكرة، ولكن بقرب الأجل يموت الهوى فتموت الفكرة.
- لو سلمت النفوس من الشهوات لصح ميزانها للحق، ولكن شهواتها أحجارٌ تُثقّل بها كفة الميزان الذي تريد، ترفع وتخفض وتارةً يمين وتارة شمال.
- مرض القلب بالشبهة يزداد بنفسه إن تُرك، فالشبهة تُنتج شبهات ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البَقَرَة: ١٠). ولهذا فالشبهة تبدأ شبرًا وتنتهي كفرًا.
- كل باطل لا بد أن يعتمد على شبهة يُمرر الباطل عليها، حتى إبليس عصى الله بتعليل في صورة دليل ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾ (الإسرَاء: ٦١).
- الشبهة في الأفكار تبدأ شبرًا وتنتهي كفرًا ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البَقَرَة: ١٠).

obeikandl.com

- في الحديث آخر الزمان: (يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا) كفر في ساعات، كم يحتاج ليفسق ويضل ويبتدع وهو مسلم! فيه إشارة إلى وفرة الشبهات وتسارعها.

- القرآن لا يوجد الشبهة في قلب سليم، ولكن القلب المريض هو من يُوجدها ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ (آل عمران: ٧).

- الفتن تميّز الصفوف، وتُظهر السرائر، قال معاوية رضي الله عنه: «لَا تَكْرَهُوا الفِتْنَةَ؛ فَإِنَّهَا تُظْهِرُ رُؤُوسَ النِّفَاقِ».

- الفتن تعترض طريق الحق لتميّز السائرين الصادقين من السائرين الكاذبين ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (العنكبوت: ٣).

- يُنزل الله الفتن ليُخرج الأدعياء من الصف ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في البلاء يثبت الصادقون.

- إذا وُجدت الفتنة فلأن أمرًا من أوامر الله مفقود، أو نهيًا من نواهيه موجود ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (النُّور: ٦٣).

- الفتن تزيد وتنقص مع زيادة المعاصي ونقصانها ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (النُّور: ٦٣).

- سئل ابن مسعود عن زمن الفتنة فقال: «إذا كَثُرَ قراؤُكم وقَلَّ فقهاؤكم وكَثُرَ أمراؤكم وقَلَّ أُمَنَاؤُكم والْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بعملِ الآخِرَةِ وتُفُقِّهَ لغيرِ الدين» وهو صحيح.

- من أظهَرِ أسباب الفتنِ تصدُّرُ قراءِ القرآن للفتوى وتعدد دول الإسلام، سئل ابن مسعود عن زمن الفتن فقال: إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم.

- إذا انقسم الإسلام إلى دول كثر الأمراء وتنافسوا وطوعوا الحق لمطامعهم، سئل ابن مسعود عن الفتن فقال: إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم.

- المؤمن الصادق لا تُغيّره الفتن، ويثبت عند البلاء، ففي الحديث قال ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ القِطْعَةِ الذَّهَبِ إِنْ نُفِخَتْ عَلَيْهَا احْمَرَّتْ، وَإِنْ وُزِنَتْ لَمْ تَنْقُصْ).

- إذا تعرّض القلب لريح الفتن قلّبته، وعليه أن يلوذ بحائط الإيمان والعلم حتى يثبت، ففي الحديث: (مَثَلُ القَلْبِ كَمَثَلِ رِيشَةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ).

- من عرف الحق ثبت في الفتن، ومن جاءته الفتن بلا علم تحيّر وتذبذب وضل. قال حذيفة: «لا تَضُرُّكَ الفتنةُ ما عرفْتَ دينَكَ».

- في الحديث: (أَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ) فإذا ذهبت أشخاصهم فلا يذهب فقههم، فهو الأمان من الفتن والنزاع.

- الوحي نور جعله النبي ﷺ بيد الصحابة، فمن تاه عن النور فليَسر خلف حَمَلته، قال النبي ﷺ (أصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون).

- الشكّ بسلامة الطريق فتنة، يزيدها الجهل ويُزيلها العلم، قال حذيفة: «إذا اشتَبَه عليكَ الحقُّ والباطلُ فلم تَدْرِ أيّهما تتبعُ فتلك الفتنةُ».

- في زمن التقلبات والانتكاسات ينبغي اللجوء إلى الله، كان أبو بكر الصديق زمن المرتدين يقنت لنفسه في صلاته فيتلو: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ (آل عمران: ٨).

- خير الناس في الفتن، من سَلِم في دنياه، وقدّم لأُخراه.

- الفتوى عند الفتن خاصّة يجب أن لا تؤخذ إلا من عالم لم تملأ قلبه الدنيا، فالقلب إناء لن يُعطيك لبنًا والماء فيه أكثر، وإن رأيته أبيضَ فهو زيف!!

- في الفتن يُنصح بلزوم العلماء والبعد عن تحليلات العامة، فالفتن لها لمعة تغر وتخدع، والمصالح والمآل لا يقدرها إلا عالم يفهم يقظ.

- العالم الذي يستطيع تمييز الفتن هو من جمع أمرين. العلم بواقع الفتنة ومآلاتها. التجرّد من الأطماع. فعلم بلا تجرد هوى، وتجرد بلا علم مجازفة.

- لا تقوم فتنة ظاهرة إلا على ظهر فتنة باطنة، والفتن الباطنة لا يراها إلا عالم متجرد. وفي الحديث: (تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ).

- كثيرٌ من الناس يعرفون الفتن الظاهرة فيجتنبونها، ولكن القليل من يعرف الفتن الباطنة فيتساهلون فيها فإذا اجتمعت صارت عظائم ظاهرة مهلكة.

- وصية النبي ﷺ في الفتن: (عَلَيْكَ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ العَوَامَّ) يتأثر العالم بتحليلات العامة حتى يدع الحق اغترارًا بكثرتهم.

- في الفتن تصاب أكثر العقول بسُكر الأخبار وإدمانها وهم لا يقدمون فيها ولا يؤخرون، فإذا ذهبت الفتن رجعوا صفر اليدين لا علم ولا عمل والعمر قد انصرم.

- العاقل لا ينشغل بالأحداث التي لا تؤثر فيه ولا يؤثر فيها لأن الأعمار لا تتسع لعناوين الأخبار فضلاً عن تفاصيلها .

- أكثر ما يُحرق الأعمار تَتبُّع فضول الأخبار .

- وصية الله في القرآن إذا رأيت من فُتن بتتبع المتشابه من أدلة الدين وترك المحكم فقل: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ (آل عمران: ٨).

- لا تتعرض لسطوة جبار فيفتنك بذلك عن الحق، فلن تكون أقوى إيمانًا من إبراهيم قال: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الممتحنة: ٥)؛ أي : لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

- لن تخرج الدول من الفتن إلا بامتثال أمر الله وترك هوى الحكّام والشعوب ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ (النُّور: ٦٣).

- الدنيا ملئت فتنًا ونُذرًا تستوجب على الحُكام والأنظمة والشعوب الفرار إلى الله وليس مزيد فرارٍ منه ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (الذّاريَات: ٥٠).

- في الفتن تختلف الآراء لاختلاف المبادىء منهم من يُغلّب سلامة الدنيا ومنهم يُغلّب سلامة الدين، وإن اختلفوا فمبادؤهم تُبيّن مقاصدهم وإن زيفوها

- كثير من الناس يضيع الحق لديهم؛ لأنهم يبدؤون بالانتصار للأفكار وينتهون بالانتصار لحملة الأفكار.

- حماية العقائد أولى من حماية الأفراد، وانتصار العقائد لا يكون بانتصار الأفراد؛ لأن العقيدة إن انتصرت بانتصار فردٍ فستزول مع زواله.

- التحزُّب للأشخاص أعظم فتن أهل الحق بالحق، يتبعون الحقّ لأجل قائله ليس لأنه الحق، فإذا انتكس القائل انتكسوا!

- أعظم الرموز محمد، ومع هذا ذمّ الله الضعف والانتكاسة عند فقده: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ (آل عِمرَان: ١٤٤).

- أخطر أنواع الفتن أن تُقلب الحقائق، فيُشرّع الباطل، ويُجرّم الحق، فالسكوت حينئذٍ هو الفتنة ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ (التّوبَة: ٤٨).

- أكثر ما ينشأ الباطل تحت ظلال السكوت، فمن فتنة المعتدلين السكوت عن الخوارج لأن من خصومهم الطواغيت والسكوت عن المرجئة لأن من خصومهم الخوارج.

obeikandl.com

يظنون أن الفتنة هي الإثارة والهرج فقط، ويغفلون عن أن أخطر أنواع الفتنة قلب الحقائق والمفاهيم ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ (التّوبَة: ٤٨).

أعظم الفتن فتنة قلب الحقائق، وأخطر الحروب حرب الشعارات، قال ﷺ: (إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي: كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ).

إذا أرادوا ركوب الباطل سمّوه بغير اسمه، فكما أخبر النبي ﷺ أن الخمر تُسمّى بغير اسمها لتُشرَب فكذلك الكفر يُسمّى بغير اسمه ليُركب.

أعظم فتنة على الفرد في نفسه انقلاب الحق وتغير المفاهيم عنده، وتعظم فتنته إذا كان سعيدًا بهذا التحوّل!

أعظم أسباب عقاب الله للأمم قلب الحقائق وتلبيسها بالكذب ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعَام: ١١).

أسوأ الأزمنة التي يُفعل فيها الشر باسم الخير، والخير باسم الشر، ففي الأثَر: (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَرَوْنَ الْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا وَالْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا).

في لغة المفسد والظالم تُسمى الحقائق بغير اسمها، قال فرعون: ﴿إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ (الإسرَاء: ١٠١)، ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ (غَافر: ٢٦).

الفتنة لا تُعرف بالإثارة بعد سكون ولا بالتفريق بعد اجتماع وإلا لكانت دعوات الأنبياء فتنة. الفتنة هي إبدال الخير بالشر وعلاجها الإصلاح بحكمة.

كثيرًا ما يُطلق الجهال الفتنة على الحق البيِّن، وقلب مصطلحات الحق إلى الباطل هو الفتنة، قال تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ (التّوبَة: ٤٨).

النص واحد وحكمه بيّن ولكن يتغير بقلب موضعه وحرف مصطلحه، وبقطع سياقه ينقطع معناه ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ (آل عِمرَان: ٧٨).

obeikandl.com

- متى يكون تغير الآراء فتنة؟ إذا اقترن تحوّل الإنسان بضعف عبادته؛ لأن الأصل أن التحول لا علاقة له بالتعبد، فإذا فقد العبادة دلَّ على أن تحوله فتنة.

- كلٌّ يتغير لكن علامة تغير الفتنة: اقتران تحوّله بضعف العبادة لأن الأصل أن التحول لا اختصاص له بالتعبد، فإذا فقد العبادة دلّ على أن تحوله فتنة.

- تقلبات الآراء تكثر مع كثرة الفتن، تغلي الفتن فيتقلب القلب إلا من ثبته الله، ففي الحديث: (لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَسْرَعُ تَقَلُّبًا مِنَ القِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلْيًا).

- للفرد فتنة خاصّة به وللجماعة فتنة عامّة، وأعظم فتنة على الفرد في نفسه انقلاب الحق وتغير المفاهيم عنده، وتعظم فتنته إذا كان سعيدًا بهذا التحول، قال حذيفة: من أحب أن يعلم أصابته الفتنة أم لا فلينظر فإن كان يرى حرامًا ما كان يراه حلالاً أو يرى حلالاً ما كان يراه حرامًا فقد أصابته الفتنة.

- إذا اتضح الحق من الباطل زمن الصراع، فمن الفتنة تسمية الصراع بالفتنة ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾ (التوبة: ٤٩).

- من الفتنة أن يوصف (الحق) بأنه (فتنة)! ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾ (التوبة: ٤٩).

- من يصف الحق البيّن بالفتنة المشتبهة، إما جاهل بالحال أو جاهل بالدليل، أو مفتون في الدين.

- أكثر الناس وصفًا للحق بأنه (فتنة) أشدهم وقوعًا فيها ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ ﴾ (النساء: ٩١).

- الفتنة ليست في تحريك الناس بالحق بعد ركودهم على الباطل، وإنما الفتنة السكوت عنهم ليزدادوا ركودًا عليه.

- كثيرًا ما يكون التحذير من الفتنة فتنة؛ فالفتنة مراتب إذا اجتمعت نزع أعلاها اسم (الفتنة) من أدناها ﴿ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾ (التوبة: ٤٩).

- الفتنة مراتب..

منها: ترك الحق إلى الباطل.

ومنها: الانشغال بحق مفضول وترك حقٍ فاضل.

الأولى فتنة الجهّال..

والثانية فتنة العلماء..

- إذا وقع المنكر من الحاكم تدافع على المصلح سلطانان: سلطان الحاكم وهيبته وسلطان النفس وهواها، والمنصف من وقف بينهما ونظر إلى سلطان السماء وتجرد.

- ربما دخل مريد الإصلاح على السلطان فيفتن وينسى رسالته ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ (يُوسُف: ٤٢) ذهب ليرفع ظلم يوسف ففتن.

- فتنة الأفكار أشد من فتنة الأفعال، فلا يهم معرفة فاعل الشر بقدر ما يهم معرفة من يفرح به، فقد جعل النبي ﷺ المغتبط بقتل المسلم كالقاتل أو أشد.

- الفتن خطافة من لم يتيقن تمييزها والثبات فيها فلا يبرز إليها، وأعظم ملاذ منها هو العلم، قال ﷺ (من يشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجأ فليعذ به).

- لا أعظم من فتنة من يُسلب دينه ويُنتهك عرضه وُيسفك دمه إلا فتنة من يصف دفاعه عن ذلك بالفتنة .

- أعظم فتنة للإنسان أن تجتمع كل البينات أمامه ثم لا يقتنع (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)

# # #